بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين، الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فإن الإيمان بالقضاء والقدر من أعظم ركائز العقيدة ودعائمها، وهو ركن من أركان الإيمان لا يصح إيمان المسلم حتى يؤمن بقضاء الله وقدره، خيره وشره، حلوه ومره، لا يجوز له أن يشك في شيء مما قضى الله وقدره، ولا أن يماري في القضاء والقدر كما مارت فرق من المبتدعة الذين هم من ضَأضأ جهم بن صفوان وجعد بن درهم تلاميذ طالوت حفيد ابن الأعصم اليهودي - قاتله الله -.

والإيمان بالقضاء والقدر مما يسهل على المسلم المصائب، فيجعله يُسلِّم لقضاء الله مع أن الله - سبحانه وتعالى - قضى الخير وقضى الشر، وأوجب على المسلم أن يدفع كل قضاء بقضاء، كما قال عبد القادر الجيلاني فيما نقله شيخ الإسلام ابن تيمية عنه قال: كل الناس أو أغلب الناس تعقدت قلوبهم بالقدر، وأنا انفتحت لو روزنة بإذن الله فكنت أعالج القدر بالقدر.

وللملاحدة شبهات كثيرة حول هذه الركيزة الإيمانية لابد أن نعرج عليها في آخر هذا الدرس - إن شاء الله -.

المقصود هنا: أن الله قدَّر الخير والشر وأنَّ الله أوجب على خلقه الإيمان بقضائه وقدره، فهو يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لا معقب لحكمه.

وقال سلفنا الصالح: إنه يجب الرضا بالقضاء دون الشيء المقضي؛ لأن القضاء صفة أزلية قائمة بذاته – سبحانه وتعالى –.

أما الشيء المقضي فهو صنعة الإنسان، قال ابن القيم:

فقضاؤه صفة به قامت ❊❊❊ وما المقضي إلا صنع الإنسان

قال السفاريني:

وليس واجب على العبد الرضا ❊❊❊ بكل مقضي ولكن بالقضا

المسلم يجب عليه أن يرضى بالقضاء المطلق، ولا يرضى بالشيء المقضي. إلا إذا كان يُرضي الله لأنه صنعة إنسان وفعل إنسان، فما كان منه موافقًا لأمر الله ومحبوبًا لله فالمسلم يرضى به، وما كان منه مخالفًا لأمر الله ومبغوض إلى الله فالمسلم لا يرضى به، هذا قول السلف الصالح في عقيدة القضاء والقدر.

والمسلمون لما تشبعوا بهذه العقيدة وعلموا أن المقدر كائن لا محالة وأن ما قضاه الله لا راد له، وأن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم كانوا أشجع الناس، وأفرس الناس، وكانوا فرسانًا شجعانًا، يقاتلون الأقران ويحرصون على الشهادة في أوائل صفوف القتال، وكان لا يُرهبهم أي قوة، ولا يُزعجهم أي كثرة لأن المسلم المؤمن يعلم أن السلاح مهما بلغ فكه لا يقتل إلا من دنا أجله، بهذه العقيدة في القضاء والقدر ازدادت شجاعة المؤمنين في قتال أعداء الله، وازدادت شجاعتهم وبسالتهم، وقويت حجتهم البيانية في مجادلة غير المسلمين، وفي الدعوة إلى الله للدفع بسلطان الإسلام إلى الأمام،

وازدياد مده في مشارق الأرض ومغاربها كما أنه هانت عليهم المصائب بقوة إيمانهم بالله، فلا تجد المؤمن الصادق يجزع، لا تجده يندب كندب الجاهلية أو يشق جيبه أو يلطم وجهه أو يدعو بالويل والثبور، لا تجده يغضب عند الحوادث والنكبات فينتحر كما ينتحر الكفرة الفجرة.

فعقيدة القضاء والقدر من ركائز الإسلام، وفيها منافع عظيمة للمسلمين، وقد أوضح الله للمتقاعدين وللمثبطين عن القتال أن الله يبلوهم بشتى المصائب غير القتل، يبلوهم بمصائب غير عدوهم المحارب الذي يخشونه، فقال – تعالى – بعد قوله: ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ * وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[البقرة:١٥٤-١٥٦].

وقبل أن أعالج شبهات الملاحدة والفجرة المشككين أدع المجال لأخي صاحب الفضيلة الشيخ صالح الحيدان ليتكلم بما يفتح الله عليه.

المقدم: شكرًا لصاحب الفضيلة على هذا البيان والتوضيح، مع فضيلة الشيخ صالح الحيدان.

الشيخ: إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده

وخليله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن اتبع طريقته ودعا إلى ملته، وبعد:

فقد كان بودي أن أستمع إلى استمرار صاحب الفضيلة للإفاضة في هذا الموضوع وإيفائه ما يستحقه وبما هو قدير عليه من الإيفاء، ولقد كنت ألتذ لما أسمع وأرتاح وقد كان استماعي أحب إلي من الكلام، ولكن أراد الله أن أتكلم، وبعد:

فلا أراني إلا أردد قليلًا مما قال، أو قليلًا من المعاني التي أفاض فيها، وأسأل الله أن ينفعنا جميعًا بما نسمع ونقول، فالإيمان بالقضاء والقدر أو عقيدة القضاء والقدر من أعظم ما يُنفس عن المسلم الكربات، ويفرج عن الهموم إذا آمن واعتقد أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أصابه لم يكن ليصيبه، لا يتحسر ويأسف إن فاته أمر يتمناه ويطلبه، ولا يحزن ويتألم ويتضجر إن حلت به نكبة أو مصيبة لأنه يعلم أن الأمر كله لله، وأن الخلق كلهم عبيد الله، فهو يستريح لهذا الظل الوارف البارد، إذا استظل به ظل الإيمان؛ لأنه يعلم أنه خلق من مخلوقات الله، وأن مولاه - جل جلاله - هو المتصرف في هذا الخلق، وأنه لا يوقع محنة ولا يصيب ببلية ولا يوقع نكبة لإنسان إلا لحكمة أرادها - سبحانه وتعالى - فهو الحكيم في إعطائه ومنعه، وهو الحكيم في خلقه ورزقه، وهو الفعال لما يريد.

إذا استظل الإنسان بهذا الظل وارتاحت نفسه إلى هذا المكان المريح هانت عليه المصائب يسعى جاهدًا ليدفعها قبل أن تقع، فإذا وقعت سلَّم الأمر لمن بيده الأمر - سبحانه وتعالى - فلا يأسف ولا يأسى ولا يتعب ولا يتضجر ولا يتبرم، وإنما هو مؤمن في حال الرخاء، شاكر لمولاه عند النعمة صابر في حال الضراء والنقمة، عالم في حاله الأولى والثانية أن كل شيء بقضاء المولى وقدره.

يعلم أن أهل الأرض كلهم لو اجتمعوا على أن ينفعوه بشيء لم يقضه المولى - جل جلاله - ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا، وأنهم لو أرادوا أن يضروه بأي شيء والمولى - سبحانه - لم يُرد إيقاعه عليه لم يستطيعوا أن يصلوا إلى شيء من ذلك.

بهذا الإيمان وبهذه العقيدة السليمة وبهذا المنهج الواضح الجلي سار المؤمنون الأولون، رباهم الرسول الكريم - عليه أفضل الصلاة والتسليم - ونمَّى فيهم روح الإيمان بما يتلوه عليهم من الآيات في الصباح والمساء، وبما يلقيهم عليهم من الحكم والمواعظ حتى كأنهم تشاهدون كل شيء، وحتى كأن كل شيء بل كل شيء هين عليهم إلا طاعتهم لمولاهم - جل جلاله - حتى إن النبي ﷺ أوضح لهم أن كل مخلوق كُتب عليه كل شيء وكُتب له كل ما سيدركه لا محالة حتى لما أوضح لهم رسوله الكريم - عليه صلوات الله وسلامه عليه - لهم ذلك قالوا: ففيم العمل؟ قال: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له».

فإيمانهم بالقضاء والقدر جعلهم كما قال صاحب الفضيلة: يستهينون بالصعاب، ويرتكبون أقسى الطرق لإعلاء كلمة الله، لا يصدهم هول جيش عظيم، ولا تحصين دولة منيعة، ولا حنكة من قوادها، وإنما هم يسيرون في ظل الإيمان ويدفعهم دافع الإيمان لإعلاء كلمة الله، علموا أنه لن يصيبهم أحد بمكروه لن يكتبه المولى عليهم، وأنه لن يدفع عنهم قعودهم عن الجهاد في سبيل الله أجلهم ولن يؤخرهم ساعة من نهار، لذلك الإيمان العظيم وهذه العقيدة المتينة استطاعوا في وقت قصير أن يضيئوا المعمورة بضياء الإيمان، وأن يفتحوا القلوب ويشعلوا فيها مشعلًا كمشعل الخط فتصبح البشرية في وقت قصير وقد استضاءت بضياء الحق واهتدت بهدى الله - جل جلاله - وآمنت بالله وبرسله وجاهدت في سبيله.

استمر المسلمون بإيمانهم بالقضاء والقدر يفتحون ... ويدكون العروش، ويأسرون الملوك والقواد لأن أحدهم إذا رأى قِرنا أو من هو أقوى سواعد منه وأمضى سلاحًا وأقوى ظهرًا مما يستند عليه من عُدَد وعَدَد وعدة متينة اندفع إليه بإيمانه القوي الذي يدك الجبال بقوته، اندفع إليه لأنه يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن من كُتب عليه الموت لو بات في بروج مشيدة لبرز إلى موته وتهيأ له بل تهيأ له الموت.

بهذه العقيدة العظيمة ساد المسلمون وتآخوا، رضي الفقير بفقره، وشكر الغني بغناه، وتعاونوا فيما بينهم، الغني يرحم الفقير لأنه يعلم أن قضاء المولى

وقدره هو الذي جعله بهذه المنزلة، وأن قضاءه – سبحانه – هو الذي أعطاه ذلك المال، فهو يخشى من انقلاب القضاء عليه مرة أخرى فيريد أن يظهر شكر النعمة عليه بمواساة ما أصابه شيء من مصائب القضاء والقدر من فاقة ونحوها فهو يتقلب بين شكر في الحالين: صبر إلى شكر في حال الغنى، وصبر في حال الفاقة أو أي نكبة من النكبات.

بهذا صار المؤمنون وصار المسلمون يقاتلون في سبيل الله كالبنيان المرصوص، يتألم كل واحد لأي أذى يصيب أقصاهم، يسعى بذمتهم أدناهم، فهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر، لأن القلب الذي ينبض في الجسم الإسلامي قلب واحد هو الإيمان بالله – سبحانه – والاعتماد عليه والتوكل عليه في كل شيء، فصاروا بذلك جسمًا سليمًا معافى فيه كامل الحواس، يُبصر. ويسمع ويتحرك ويسعى بنور من نور الله – جل جلاله – ثم أصاب الناس ما أصابهم من ضعف في الإيمان، فانشلت حركاتهم وأعشى ظلام المصائب التي لا يصدرون عليها أبصارهم، إن أصيبوا جزعوا، وإن أصابوا بطروا، ليسوا كما قال من يمدح صحابة رسول الله ﷺ:

لا يفرحون إذا نالت رماحهم يومًا ❊❊❊ وليسوا مجازيع إذا نيلوا

فصار الناس بعد ذلك إن أصابتهم نعمة بطروا، وأشروا، وتكبروا، وإن أصابتهم مصيبة جزعوا وتحسروا وتأذوا وقالوا: كيف أصابتنا هذه المصيبة؟

ونسوا أنه ما من مصيبة تقع على أحد إلا بسبب الذنوب التي يغشاها الناس صباح مساء، فإذا الناس تصيبهم مصائب تضعف إيمانهم، لا يصبرون ولا ينتبهون حتى أصبح الجسم الإسلامي في كافة بلاد الإسلام جسمًا ضعيفًا وإن كان باديًا في صورة جسم قوي منيع، لكن دافع القوة ولكن مبعث القوة الصحيحة ولكن إكسير الحياة السليمة أصبح في شلل، الإيمان ضعيف، الغني لا يحس بحالة الفقير، والفقير لا يصبر على فقره، ومن أُصيب بمصية لا يصبر على المصيبة فيذهب سريعًا ليتخلص من هذه الحياة لعدم وجود إيمان يعزيه، وعقيدة تسليه، واطمئنان بالثواب الذي أعده الله – جل جلاله – لمن صبروا في السراء والضراء، صبروا في السراء على ألا يبطروا النعم، ويغمط الناس حقوقهم ويظلموهم، صبروا على مكابدة النفس، فإن الصبر على مكابدة النفس في حال النعمة أعظم من الصبر في حالة الفقر والفاقة، إذا صبر الإنسان وكبح جماع نفسه وعلم أنَّ هذه الحالة ليست معه عليها أمان من الله بألا تزول، وصبر إن أصابته مصيبة أي مصيبة كانت إذا جمع لنفسه صبر في حالين في حال الغنى والصحة والقوة والجاه وفي كل حال، وحالة الفقر والفاقة والمرض وانهيال المصائب إذا جمع الإنسان بين هذه وهذه، جمع خيري الدنيا والآخرة، وإذا فاته شيء من ذلك فقد فاته من الخير بقدر ما فاته في الحالين، فالمسلم إذا اعتمد على الله ﷻ وآمن بقضائه وقدره إيمان الأتقياء صارت سيرة الملوك الذين لا يخافون أحدًا إلا الله – جل جلاله – لأنه يعلم أنه عزيز بالله، وقوي

بمولاه، وأنه لا يمكن أن يصيبه أي أذى إلا وقد كتبه الله عليه، وإذا علم ذلك علم وأيقن ألا مفر من قضاء الله – سبحانه وتعالى –.

وأترك الكلام لصاحب الفضيلة ليوفي الموضوع حقه، فإني أرغب أن أستمع إليه أكثر مما أقول في كلام مصفصف والله يتولانا جميعًا بتوفيقه وإحسانه.

المقدم: شكرًا لصاحب الفضيلة على هذا البيان والتوضيح، والآن مع الوعد الذي وعدنا به فضيلة الشيخ عبد الرحمن الدوسري حول شبهات منكري القضاء والقدر.

الشيخ: شكر الله لصاحب الفضيلة ما أفاض به، وما أوضحه – جزاه الله خيرًا – والقرآن الكريم والسنة المطهرة تكفلا بدفع جميع ما يورده المبطلون حول القضاء والقدر، وقد أكرم الله أمة محمد ﷺ بخمس وخمسين آية، وهذا جزء من إكرامنا، خمس وخمسون آية من سورة **"آل عمران"** في سبب نكبة أحد، خمس وخمسون آية فيها انتشال من الله لعباده من الهزيمة النفسية وفيها ردٌّ وقمع للمنافقين المشككين ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران:١٦٥-١٦٦] ليظهر علمه فيما بين خلقه فيكشف حقيقة المؤمنين ويكشف حقيقة الذين نافقوا، وأخبر عنهم وقد ردَّ عليهم إذ قالوا: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ

أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[آل عمران:١٦٨]، وبقوله: ﴿لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾[آل عمران:١٥٤] وبقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾[آل عمران:١٤٥] إلى آخر الخمسة والخمسين ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾[آل عمران:١٨٦].

ووصية الرسول ﷺ لابن عباس مشهورة: (يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لن يضروك بشيء إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف».

وقد نص علماء السلف على أن القضاء والقدر هو من سنته الكونية، وحكمته الكونية، وأن له – سبحانه وتعالى – حكم كوني وحكم شرعي، فالحكم الكوني هو ما يجريه من قضائه وقدره العمومي، ولا مبدل لأمره ولا مبدل لكلماته ولا معقب لحكمه.

أما الحكم الشرعي فهو: ما يُمليه على رسله ويبلغونه إلى الأمم من الأوامر والنواهي والحدود وسائر التشريعات.

وقد قال ابن القيم:

هذا ومن أوصافه سبحانه *** أنه الحكيم حكيم الشانِ
والحكم كوني وشرعي ولا *** يتلازمان وما هما سيان
بل ذاك يوجد دون هذا مفردا *** والعكس أيضًا ثم يفترقان
لن يخلو المربوب من إحداهما *** أو من هما بل ليس يفترقان

العبد المربوب لا يخلو من الحكم الكوني أو الحكم الشرعي، أو منهما جميعًا، فالمؤمن يجتمع فيه الحكم الكوني والحكم الشرعي، أما الكافر فإنه يرد فيه الحكم الكوني.

لن يخلو المربوب من إحداهما *** أو من هما بل ليس يفترقان
لكنما الشرعي محبوب له *** أبدًا ولن يخلو من الأزمان
هو أمره الديني جاءت رسله *** بقيامه في سائر الأكوان
لكنما الكوني فهو قضاه *** في خلقه بالعدل والإحسان
هو كله حق وعدل ذو رضا *** والشأن في المقضي كل الشانِ
فلذاك نرضى بالقضاء ونسخط الـ *** ـمقضيّ حين يكون بالعصيان
فالله يرضى بالقضاء ويسخط الـ *** ـمقضي ما الأمران متحدان
فقضاؤه صفة به قامت وما *** المقضي إلا صنعة الرحمن
والكون محبوب ومبغوض له *** وكلاهما بمشيئة الرحمن
هذا البيان يزيل لبسا طالما *** هلكت عليه الناس كل زمان
ويحل ما قد عقدوا بأصولهم *** وبحوثهم فافهمه فهم بيان

وقد ضاق صدر الملاحدة والمشككين من الكفرة والمنافقين وغيرهم بالقضاء والقدر، وذلك لأنهم لم يوفقوا بين التفريق بين الخلق والأمر، ولا بين المشيئة والمحبة، ولم يعلموا أن القضاء لا يوجب ترك العمل، ولا يوجب قصر بعضه على بعض، لهذا شوشوا وأخذوا يبدون الشكوك، ومن ألعن المشككين ابن السكاكيني الرافضي فقد سخر يهوديًا يسأل شيخ الإسلام على لسان ....

أيا علماءَ الدين ذمِّيُّ دينكم ... تحيرَّ ردُوه إلى خير شرعة

أجرى السموم الخطرة في تساؤلات باهتة تبهت الجهلة، تخرص كثيرًا مما لا يعلم، هذا الخبيث رد عليه شيخ الإسلام وهو ماشٍ من بيته إلى المسجد بما يقرب مائة وثلاثين بيت، لكن هذا الرد رد على مستوى عالٍ لا يفهمه كثير من الناس لقوة أسلوبه ولأنه خاطب قومًا بلاغتهم غير بلاغتنا، فاستخرت الله – جل جلاله – منذ سنين ونظمت قصيدة على منوالها سهلت فيها المعاني وجعلتها واضحة يفهمها القاصر من أمثالي، وها هي:

سؤالك ذا سؤل المخاصم ربه *** ووارث إبليس بهذه الخصومة

يقول بما أغويتني لم يقل بما *** غويت لكبرٍ منه قلب الحقيقة

أوضح أن سؤاله موجه للطعن على الله – جل جلاله –.

ومن خاصم الرحمن من كل ملحد *** فشبهته مدحوضة بالمحجة

فربي الأشياء قُرَّ مقدر *** بعين ووصف مع جميع فعيلة

وأفعالنا طُرًّا جرت بإرادتنا *** وقدرتنا من ربنا بمشيئة

ولسنا بمجبورين فيها وإنما *** أتت باختيار للمعاصي وطاعة

بما مكن الرحمن من قدرة ومن *** إرادة فعل للجميع بخيرة

ولابد من فعل العباد وقولهم *** ضرورة أم غير تريد الحقيقة

هما قدرة منهم على فعلهم وما *** يقولون مع هذا حصول إرادة

فإذا حصل القدرة والإرادة حصل الفعل، وهما مخلوقان لله، ولهذا فالعبد مسئول عن أفعاله لأنها جرت من اختياره ويقال: هي خلق الله، لأن الله هو الذي خلق فيه القدرة، والإرادة، ومكَّنه وجعل فيه الأحاسيس والقوى التي يستطيع بها فعل الخير والشر، وهداه النجدين كما قال – تعالى –: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[البلد:٨-١٠].

إذا اجتمع هذا فذلك صادر *** بمحض اختيار منهم للمشيئة

ولكن نرى الرحمن خالق قدرة *** بهم وإرادات لهم للصديرة

فكان هو الخلاق للسبب الذي *** يكون به خلاق كل فعيلة

وهم فاعلوا أفعالهم باختيارهم *** وصادرة منهم بكل حقيقة

فلا عذر للمحتج بالقدر الذي *** يسائل فيه العلج ما وجه حيلة

وهل يقبلن العذر من صافع له *** يقول قضاء الله لا ليس فعلتي

وهل يرفعن الجرم عن كل سارق *** وزان وسفاك ومجتال حرمة

هل العدل يجري أتزاد عقوبة *** على الجاني المحتج فيه للمشيئة

ترى طبعه يبغي مزيد عقوبة *** على ذا فيكفيه انتقامًا بشنعة

بتضليله الأهواء عن حكم ربه *** لشهوته تعسًا لسوء عقيدة

سؤالاته كلب على الله قال *** أبو الجن والكفار إذنًا بشبهة

قال إبليس أبو الجن: ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾، ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾[الحجر:٣٩].

وقال الكفار: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام:١٤٨] فجعلوا القضاء والقدر حجة ووسيلة للاستمرار على كفر لأنهم قصروا في جهة دون جهة، ولو عمموا لما صدرت منهم هذه الشبهة، ونرضى القضاء.

ارض بمشيئة ربنا *** فهذه صفة قامت بذات علية

خلافًا لمقضي كفعل عديه *** وذا فيه تفصيل بحسن وسوءة

كما كان من حسنى رضينا للرضا *** من الله والسوء سخطنا بسخطة

ونفعل أعمالًا لمحو ذنوبنا *** ونرضى من المقضي مثل مصيبة

واجب على المسلم أن يرضى بالقضاء في المصائب دون المعائب، بل يعالج المعائب بالتوبة، ويعلم على محوها بالأعمال الصالحة ليعالج القضاء السيئ بالقضاء الطيب، يعالج أقدار الله – جلَّ وعلا –.

وتقديره الأشياء كان معلقًا *** بأسباب هذا الفعل خير وشقوة

وتسبيبه الأسباب عن محض حكمة *** ليجرون ما شاءوا بفعل ورغبة

وليس القضاء قاض بتعطيل فعلنا *** ولا قصره فيما نريد بشهوة

فتعطيل فعل مثل راج لرزقه *** بلا سبب أو نسله دون زوجة

وقاصر أفعال على الذنب لم يدر *** ويحتج بالأقدار فعل حماقة
وقولك من غش وتلبيس فاجر *** فهل أنا عاص باتباع المشيئة
نقول نعم عاص بقصر مشيئة *** على الكفر سوء الظن بالله خيبة
كأنك معطى صك فسق *** وترتضي له طول عمر جامحًا دون توبة
فما شاء منك الكفر جبرًا *** وإنما جرى باختيار وانشراح سريرة
ومن ذا الذي أدراك عن فعل ما قضى *** بك الله إن تبغي اعتذارًا بشنعة

هذا كرد الله على المشركين لما قالوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ قال لهم: ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾، هل عندكم من علم أن الله كتب عليكم الشرك كتابة مؤبدة وقضى عليكم به؟ ما عندكم إلا الظن والخرف البائد، ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾.

أنا قلت:

ومن ذا الذي أدراك عن فعل ما قضى *** بك الله إن تبغي اعتذارًا بشنعة
فإن قلت أدراني ذنوب كسبتها *** نقول: فتب تحظى بخير مشيئة
فإن احتجاجًا بالقضاء جريمة *** يفوه به مستسلم للغواية
ولم يقل ارض بالقضاء وإنما ***

تكذب على الله، ما قال الله: ارض بالقضاء.

ولم يقل ارض بالقضاء وإنما *** يريد متابًا من فعال الخطيئة

فلا ترض ما لم يرضه واسلك *** الذي يريد صراطًا مستقيما بتوبة

وعالج لأقدار الإله بضدها *** ولا تعتذر أو ترضى من أي سوءة

كجوعك يجري في القضاء *** عالج القضاء بأكل قضاء آخر عن هزالة

وسقم قضي عالج بأدوية القضاء *** وعالج لسقم القلب في صدق توبة

من الذنب أو تفرد فأولى علاجه *** لنقل قضاء من قضاء بخيرة

حريبك: عدوك

حريبك أيضًا بالقضاء احربه بالقضاء *** لإرغامي واحرب شيطانك

التي

أضلتك واعكسها بحسن إنابة *** لتظفر من هذا القضاء بنصرة

فمستسلم للذنب والأصل مخطئ *** خصوصًا لشيطان فأدهى جريمة

كحالة هذا السائل الشاتم القضاء *** خنوعًا لشيطان ورغبة شهوة

وما سلته جبرًا فهذا عناية *** عن الخلق والأمر المبين بشبهة

تكاليف رب العرش فيها تأثرت *** عقول بني الإنسان في خلف صنعة

فمنهم مطيع متق بأس ربه *** مصدق بالحسنى اشتياقا لجنة

ييسرها المولى له ويزيده *** زيادة إيمان ونور بصيرة

وآخر ينعى عنه بالغيب كافر *** يكذب بالحسنى يذاد بشقوة

فذا لضلال منه ربي يزيده *** ضلالًا وحرمانا وكل تعاسة

ويهدي إليه من أناب تكرما ***

يهديه الله، يهدي إليه من ينيب، لا يهدي الشارد الذي مصمم ولا ينوي التوبة ويسوف فيه.

ويهدي إليه من أناب تكرما *** ومن زارف الله مذيل السريرة

يزيد مريض القلب سقمًا يزيغه *** بصورة خفض خامس الآي ....

وما سد بابًا عن مريد وصوله *** ولكن عن النائي بزيغ وحجرة

يقيض شيطان الهوى للذي غوى *** لشردة عن حسن رب ورحمة

كما جاء من بعد الثمانين آية *** بمريم واعدد آيتين لشهرة

وفيها مثل عشرين سورة فصلت *** وزخرف في الست الثلاثين آية

وما كان ربي بالمضل لمن اهتدى *** إلى أن يُبن ما يتقيه بنية

بآية خمس العشر من بعد مائة *** بتوبة أعني سور لبراءة

فإن كنت ترجو أن توفق للهدى *** فصحح إيمانًا برب البرية

بتصديقه في وحيه واتباعه *** وناشده إخلاصًا بكل ضراعة

وكن عامرًا للقلب بالذكر والرجا *** لتعبر من متن الصراط لجنة

فترك المرا في الدين يكسبك الهنا *** ويوقيك أشراك الشرور المحيطة

وصل إلهي وربي مُسلِّمًا *** على المصطفى المعصوم من كل ذَلَّة

هذه القصيدة أوضحت فيها شبهاتهم إيضاحًا تامًا، وأنه لا حجة لأحد بالقدر، ولو قيل له: اعف عمن ضربك، اعف عمن سرق منك لأن هذا بقضاء الله وقدره. لم يقبل، فالاحتجاج بالقضاء والقدر جريمة، ويجب أن تعالج أقدار الله بأقدار الله، وقول هذا الخبيث: قضى بضلالي، ثم قال: ارض بالقضاء هو كذب وافتراء على الله، أن الله لم يأمر بالرضا بالمعاصي، أمر بالرضا بالمصائب، وأوجب على أصحاب المعاصي ألا يرضوا بشيء منها، بل يسخطوها ويبادروا بالتوبة منها.

ولعلي أفسح المجال لما يكن في قلب فضيلة الشيخ، ونحن نفسح جميعًا بعد مقاله للإجابة على أسئلتكم المفضلة والله يتولى الصالحين.

المقدم: شكرًا لصاحب الفضيلة على هذا البيان وعلى هذا الكلام العظيم، نسأل الله – سبحانه وتعالى – أن ينفعنا به جميعًا، واللقاء الآن لصاحب الفضيلة الشيخ صالح الحيدان.

الشيخ: أشكر فضيلة الشيخ عبد الرحمن على أما أفاض به، وأوضح فيما يتعلق بإجابة من يحتج بالقضاء والقدر من ضعاف الأحلام وسفهاء العقول.

وليس عندي ما أقله في ذلك إلا أن أحض المسلم والمسلمين على أن يستعينوا بالإيمان بالقضاء والقدر على كل ما يعترض طريقهم في هذه الحياة، فهي حياة ملئها المتاعب والمشقات، حشدت بالمصائب والنكبات، لا يصبر عليها ويجتازها بنجاح إلا من اعتمد على مولاه وآمن بقضائه وقدره، وعلم أن

كل شيء بقضاء وقدر، إذا فعل ذلك واعتمد على الله أكسبه ذلك عزة في نفسه، وشجاعة فيها وتوكلًا على مولاه – جلَّ وعلا – وإنابة إليه – سبحانه – في كل ما يأخذ وما يدع، لأن الإنسان إذا آمن بالقضاء والقدر إيمان صدق أكسبه ذلك السير في طريق هداه دون التفات، والسعي للحصول على مرضات الله – جلَّ وعلا – دون تردد، لأنه لا يهابه عائقًا في طريقه ولا يخشى عقبة تعترضه في مسلكه؛ لأنه يعلم أن كل شيء إنما هو بقضاء الله وقدره، لا يقف دون مراده، فإذا اعترضه أمر جاهد واجتهد، فإن عجز أو أصابه أمر قال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

لا يسخط على قضاء الله وقدره، ولا يستمرئ مورد المعاصي المنتن ويقول: إن ضلاله كان بقضاء وقدر، بل يسعى سعي المريض العاقل لمعالجة أمراضه بأدواء الشفاء، فهو يعلم أن ما أصابه بقضاء وقدر، ولكن شفاءه لا يتم إلا بقضاء وقدر، فهو يسعى للحصول على ظل الشفاء عن طريق القضاء والقدر بوضع أدوية مناسبة لذلك المرض يُشفى من ذلك المرض بقضاء الله وقدره، كذلك من حلَّ في مستنقع المعاصي – والعياذ بالله – هو حقيقة حل فيها بقضاء وقدر، ولكن الخلاص منها والنجاة والخروج منها إلى بر الأمان وساحل السعادة يحصل أيضًا بالقضاء والقدر.

المقدم: .... للإجابة على أسئلة بعض حضراتكم، نذكركم أن هذه الليلة هي ميعاد الاحتفال السنوي للحفاظ من حملة القرآن الكريم، وذلك سيكون

بعد صلاة العشاء تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز، نذكركم بهذا حتى ننتظر جميعًا ونسمع كلمات أصحاب الفضيلة المشايخ، ونبدأ بالسؤال الذي ورد في الموضوع.

السائل: أصحاب الفضيلة للمشايخ بعد التحية، أفتوني – أثابكم الله – هل من أصابه مرض أو فقر أو غير ذلك مما يعرض عليه من الأمور فدعونا له في كشفها فهل يغير ذلك من الرضا بقضاء الله وقدره؟

الشيخ: الحمد لله رب العالمين، الدعاء لا يضر بالإيمان بالقضاء والقدر، والدعاء مأمور به، والدعاء من بعض الوسائل التي يصرف الله بها القضاء، لأن الله قال: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[الرعد:٣٩]، فقد علمنا الرسول ﷺ دعاء «اللّٰهم إن كنت كتبتني في علمك شقيًا فامحني واكتبني سعيدًا» أو نحو هذا الكلام، فالدعاء ليس فيه شيء، إنما الواجب ألا يشك في أمر القضاء والقدر، وأن يعالج ما أصابه، فالفقير ينشط في عمله وكده واختراعه ليعالج القضاء بقضاء آخر، والسقيم يعالج قضاء السقم بالأدوية كما أن من أوجب الواجب عليه أن يعالج سقم قلبه ومرض قلبه بالأدوية الروحية النافعة.

المقدم: هل يرى فضيلتكم أن إعلامنا اليوم موافق للصيغة الإسلامية؟ وكيف؟

الشيخ: هذا السؤال في الحقيقة في الظاهر لا علاقة له بالقضاء والقدر، لكن إذا جُرَّ من بُعد وقال قائل: إن إعلام الأمة الإسلامية البعيد عن منهج الإسلامي حصل بقضاء وقدر فصار من الأمور التي ينبغي الرضا بها، لأنه بقضاء وقدر، كيف نقول له؟

يقال: إن هذا أشبه بمن أصابه مرض يُعلم علاجه، وقيل له: اصبر على مرضك الذي أنت فيه. فقد حل هذا المرض بقضاء وقدر، والإيمان بالقضاء والقدر يستدعي منك أن تصبر على ما أصابك، مع أن بينهما أيضًا فرق كبير، فإن في هذا يقال: ارض بما يخالف في كثير من الأحوال منهج الإسلام، لأنه بقضاء وقدر، فهو شبيه بذلك السائل الملحد الضال الذي يقول: كيف أسخط على مشيئة الله؟.

فإعلام الأمة الإسلامية في هذا الزمن صارت تسيطر عليه في أغلب بقاع الإسلام فئات لا تريد للإسلام خيرًا، فتوجه هذا الإعلام ليصير حربًا على الإسلام ومعولًا هدَّامًا يُهد به صرح الإسلام، لأنه في غالب بلاد الإسلام إنما ينهج منهجًا مخربًا لا منهج مصلحًا، وإذا وفق الله – جلَّ وعلا – أمة الإسلام بأن تمسك بزمام الإعلام وتجعله وسيلة للتوضيح والإيضاح والدعوة والإرشاد وإعلان كلمة الله، وبيان أدوية أمراض المسلمين في كل ما يهمهم ويعالج مشاكلهم ويرفع عنهم ذلك المرض الذي أصاب قلوبهم فشَلَّ حركاتهم أو أغلق حركاتهم، إذا وفق من يقومون على الإعلام في الأمة

الإسلامية ليوجهوا الإعلام لتبيين مضار ذلك الداء الذي أصبح ينخر في جسم الأمة الإسلامية، ويبين دواء ذلك الداء الذي إذا وُضع على أي مرض اجتماعي بصدق ورغبة وعزيمة وامتثال لما فيه من تعليمات، وما فيه من وقاية، وحرص على التقيد بتعليماته كما يتقيد المريض بتعليمات الطبيب حينما يكتب وصفة الدواء، لو أن ذلك حصل لانقلبت أحوال المسلمين سريعًا وتحولت أمورهم إلى عزة وسؤدد وإلى مجد ورفعة، وإلى اتفاق في الكلمة وتوحد في الصف، ولكن الناس زالت من نفوسهم الغيرة على دينهم، فأصبح الإعلام وغيره في منأًى عن الإسلام في أكثر بلاد الإسلام، ونسأل الله أن يعيد للإسلام شبابه ومجده، وأن يملأ قلوب المسلمين غيرة على دينهم حتى يستطيعوا أن يوجهوا ويوحدوا إعلامهم توحيدًا سليمًا.

وأزيد على كلام صاحب الفضيلة – جزاه الله خيرًا -: بأن من أوجب الواجب على المسئولين أن يعتنوا في إصلاح القيادات الفكرية وتنقيتها من المخربين أشد مما يعتنوا بإصلاح القيادات العسكرية.

إنهم لا يصبروا على أي شيء يحسونه في النواحي العسكرية، فيبعدون أكبر شخصية وقد يسلبوه لقبه، ويسلبوه يده، أما القيادات الفكرية فهم عنها في سبات عميق، وعلى علماء الأمة أن تتضافر جهودهم لنصح المسئولين وأن يحتجوا في كل مؤتمر إعلامي على عدم دعوتهم وعدم إحضارهم للمشاركة في ترتيب وسائل الإعلام.

أما أن نسمع كل ما بين سنتين مؤتمر للإعلام العربي، مؤتمر للإعلام العربي والإسلامي ولا يحضره أحد من القادة الإسلاميين الفكريين! هذا من أكبر الخطأ، ولا علاج أبدًا إلا بتغيير القيادات الفكرية والعمل الدائم من عامة المسلمين من علمائهم وخواصهم على إصلاح القيادات الفكرية وإبعاد المخربين ووضع عناصر طيبة وعلى المسلمين أن ينشطوا في هذا المجال لتمكين الفئات الصالحة في وسائل النشر والإعلام، وألا يرضوا بأي مفسد يفسد عليهم صحافتهم، ويخرب ضمائر أبناءهم، ويسعى لإفساد أخلاقهم وصدهم عن ذكر الله وما نزل من الحق، والله يتولى الصالحين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد.

المقدم: أيها الإخوة المسلمون إن بقي من شيء، فلم يبق إلا أن نتوجه بالشكر لأصحاب الفضيلة العلماء، جزاهم الله عنا وعنكم خير الجزاء، سائلين لهم إجابة الدعوة، سائلين الله لهم الفتوح والقبول، وأن يجعل علمهم في ميزان أعمالهم يوم القيامة نورًا يسعى بين أيديهم وبأيمانهم.

ومسك الختام، وختامه مسك، لصاحب الفضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز بعد صلاة العشاء – إن شاء الله – للتعليق على هذه الندوة، ومناسبة تخريج دفعة القرآن الكريم بعد الصلاة مباشرة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته